بِسمِ اللهِ

اختِصَارُ كَلَامِ النَّاسِ فِي كِلمِ الجَبَّارِ
وَالرَّدُ عَلَى المُخَالِفِ

فِي ذِكرِ مَذَاهِبِ النَّاسِ فِي القُرآنِ وَشَرحِهَا :

الأَوَّلَةُ : مَذهَبُ القَرَامِطَةِ الفَلَاسِفَةِ

القَرَامِطَةُ : هُمُ أَصحَابُ حَمدَانِ القِرمِطِيُّ ظَهَرُوا بَعدَ عِشرِينَ وَثَمَانِيَةٍ بَعدَ المِئَتَينِ لِلهِجرَةِ وَقَد سَرَقُوا حَجَرَ الكَعبَةِ الأَسوَدِ وَاقتَلَعُوه لَعنَةُ اللهِ عَلَيهِم

مَقَالَتُهُم :

زَعَمَ ابنُ سِينَا وَغَيرُهُ مِن فَلَاسِفَةِ القَرَامِطَةِ أَنَّ القُرآنَ فَيضٌ فَاضَ مِنَ العَقلِ الكُلِّيِّ الفَعَّالِ عَلَى نَفسِ النَّبِيِّ الَّذِي يَنتَهِي إِلَيهِ التَّفَاضُلِ فِي الصُّوَرِ المَادِيَّةِ وَالرِّسَالَةُ عِندَهُ هِيَ مَا قُبِلَ مِنَ الإِفَاضَةِ تِلكَ عَلَى أَيِّ عِبَارَةٍ استُصوِبَت لِصَلَاحٍ فِي عَالَمَي البَقَاءِ وَالفَسَادِ ، وَالعِلَّةُ فِيهَا حُصُولُ صَلَاحِ العَالِمِ الحِسِّي بِالسِّيَاسَةِ وَبِالعَالَمِ

وَقَد صَرَّحَ بَذَلِكَ ابنُ سِينَا فِي (مَجمُوعِ رَسَائِلِهِ)

وَالرَّسُولُ عِندَهُم هُوَ المُبَلِّغُ مَا استَفَادَ مِنَ الإِفَاضَةِ المُسَمَّاةِ وَحيًا عَلَى عِبَارَةٍ استُصوِبَت لِرَأيِهِ

أَمَّا العَقلُ الفَعَّالُ عِندَ هُؤَلَاءِ الفَلَاسِفَةِ هُوَ الصَّانِعُ عِلَّةُ هَذَا العَالَمِ

وَلَمَّا فَسَّرَ ابنُ سِينَا آيَةُ (اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ) ، وَهِيَ آيَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا

قَالَ : (النُّورِ) رَمزٌ لِلخَيرُ فَيَكُونُ الصَّانِعُ هُوَ الخَيرُ ، وَ(السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ) الكُلُّ ، وَالكُلُّ هُوَ تَعبِيرُ الفَلَاسِفَةِ عَنِ العَالَمِ ، قَالَ (المُشكَاةُ) العَقلُ الهُيُولَانِي مِثلَ استِعدَادِ النّطُقِ وَالإِدرَاكِ ذَكَرَهُ أَرسطُو طَالِيسَ ، (المُصبَاحُ) العَقلُ المُستَفَادُ بِالفِعلِ بَعدَ التَّحَوُّلِ مِنَ حَالَةِ الاستِعدَادِ ، وَقَالَ (الزُّجَاجَةُ) الوَاسِطَةُ وَهِيَ العَقلُ الفَعَّالُ الَّتِي بَينَ العَقلِ الهُيُولَانِي وَالعَقلُ المُستَفَادُ بِالفِعلِ ، (وَالشَّجَرَةُ المُبَارَكَةُ) القُوَّةُ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الأَفعَالِ العَقلِيَّةِ

وَقَد تَقَدَّمَ أَنَّ القُرآنَ عِندَ الفَلَاسِفَةِ هُوَ فَيضٌ فَاضَ مِنَ العَقلِ الفَعَّالِ أَلَا وَهُوَ عِلَّةُ المَخلُوقَاتِ عَلَى نُفُوسٍ فَاضِلَةٍ زَكِيَّةٍ بِحَسبِ استِعدَادِهَا فَحَدَثَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الفَيضِ تَصُوُّرَاتُ وَتَصدِيقَاتٌ بِحَسبِ مَا قَبِلَتهُ مِنهُ وَلِلنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ ثَلَاثُ قِوًى :

-قُوَّةُ التَّصَوُّرِ
-وَقُوَّةُ التَّخَيُّلِ
-وَقُوَّةُ التَّعبِيرِ

فَبِالأُولَى تُدرِكُ مِنَ المَعَانِي مَا يَعجَزُ عَنهُ غَيرُهَا مِنَ النُّفُوسِ
وَبِالثَّانِيَةِ تُدرِكُ شَكلَ المَعقُولِ المَحسُوسِ ، فَحِينَهَا تُصَوِّرُ المَعقُولَ صُوَرًا نُورَانِيَّةً تُخَاطِبُهَا وَتُكَلِّمُهَا بِكَلَامٍ تَسمَعُهُ الآذَانُ ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقُ كَلَامِ اللهِ عِندَهُم ، وَلَيسَ لَهُ وُجُودٌ حَقِيقِيٌّ فِي خَارِجِ الذِّهنِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ قُوَّةٌ خَيَالِيَّةٌ وَهمِيَّةٌ

وَزَعَمُوا أَنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا أَتَوا بِكَلَامٍ خِطَابِيٍّ يُؤَثِّرُ فِي الجُمهُورِ وَيُحَرِّكُ عَوَاطِفَهُم مِن غَيرِ دَلِيلٍ وَبُرهَانٍ وَخِطَابُهُ لَهُم خَيَالِيٌّ بِمَا يَنتَفِعُونَ بِهِ مِن غَيرِ أَن يَكُونَ الأَمرُ فِي نَفسِهِ كَذَلِكَ ، وَلَم تُبَيِّن رُسُلُ اللهِ هَذِهِ الحَقَائِقُ لِأَنَّهُ غَيرُ مُمكِنٍ بِزَعمِهِم ، مِن حَيثُ أَنَّ النَّاسَ العَامَّةَ قَاصِرَةٌ عَن فَهمِ الحَقَائِقِ العَقلِيَّةِ فَلَا بُدَّ مِن تَصوِيرِهَا لَهُم صُوَرًا تَألَفُهَا الطِّبَاعُ وَتُدرِكُهَا العُقُولُ

وَسَلَكَ مَن سَلَكَ هَذَا المَسلَكَ مِن أَصحَابِ الأَشعَرِيِّ مِنَ الجَهمِيَّةِ المُتَأَخِّرِينَ مِثلَ أَبِي مُحَمَّدٍ بنِ عَبدِالسَّلَامِ فَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لَم يُبَيِّن لِصَحَابَتِهِ الحَقَّ لِأَنَّ عُقُولَهُم قَاصِرَةٌ عَنهُ بِزَعمِهِم فَخَاطَبَهُم بِمَا يَفهَمُونَ مِن ذِكرِ اليَدِ وَالوَجهِ وَالعَينَينِ فَحَقِيقَةُ قَولِ هَؤُلَاءِ الفَلَاسِفَةِ وَمَن تَبِعَهُم مِن مُتَأَخِّرِي الجَهمِيَّةِ أَنَّ الرَّسُولَ كَذَبَ عَلَى القَومِ لِمَصلَحَتِهِم

وَيُبنَى عَلَى ذَلِكَ عِندَهُم أَن الفَيلَسُوفَ أَخيَرُ مِنَ النَّبِيِّ لِأَنَّ النَّبِيَّ إِنَّمَا أَتَى لِعَامَّةِ النَّاسِ لِيَربِّيهِم وَيَدعُوهُم وَيَكذِبَ عَلَيهِم فِي الحَقَائِقِ مُخَاطَبَةً لَهُم بِمَا يَفهَمُونَ

أَمَّا الفَيلَسُوفُ فَهُوَ نَبِيٌّ خَاصَّتِهِم فَهُوَ الَّذِي يُرَبِّي أَصحَابَهُ مِن أَصحَابِ العُقُولِ الزَّكِيَّةِ وَالمَدَارِكِ الوَاسِعَةِ لِيُفهِمَهُم حَقِيقَةَ هَذَا الفَيضِ الَّذِي فَاضَ مِنَ عِلَّةِ العَالَمِ

وَالنَّبِيُّ عِندَهُم إِنَّمَا يَأخُذُ مَا يَقُولُهُ مِنَ العَقلِ الفَعَّالِ تَخَيُّلًا ، وَأَمَّا الفَيلَسُوفُ فَمَصدَرُهُ القُوَّةُ القُدسِيَّةُ الفِعلِيَّةُ

الثَّانِيَةُ : طَوَائِفُ الاتِّحَادِ

وَهُمُ القَائِلِينَ هُوَ عَينُ الوُجُودِ كُلِّهِ فَصِفَاتُ الوُجُودِ صِفَاتٌ لَهُ وَكَلَامُهُم كَلَامٌ لَهُ وَيَظَلُّ يَلبَسُ المَوجُودَ وَيَخلَعُهُ وَذَلِكَ هُوَ الإِعدَامُ وَالإِيجَادُ فَهُوَ العَالَمُ كُلُّهُ وَالأَعضَاءُ فِي الأَجسَامِ كَالجُزئِيَّاتِ فِي الكُلِّيَّاتِ عِندَهُ

مَقَالَتُهُم :

وَبَنَوا عَلَى مَذهَبِهِم هَذَا الاتِّحَادِيَّ أَنَّ كُلَّ كَلَامِ العَالَمِ هُوَ كَلَامُ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ لِأَنَّهُ اتَّحَدَ بالعَالَمِ كَمَا يَقُولُ كَبِيرُهُم فِي الفُصُوصِ :

وَكُلُّ كَـلَامٍ فِي الوُجُودِ كَلَامُهُ
سَوَاءٌ عَلَينَا نَثـرُهُ وَنِظَـامُهُ

فَيَترَتَّبُ عَلَيهِ أَنَّ النَّوحَ وَالبُكَاءَ وَصَوتَ الفَرَحِ وَالسِّحرَ وَنَهِيقَ الحَمِيرِ وَخَرِيرَ المَاءِ وَكُلَّ هَذِهِ الأَصوَاتِ هِيَ عَينُ كَلَامِهِ وَصَوتِهِ وَحُرُوفِهِ

وَيَلزَمُ مِن مَذهَبِهِم نَقضُ أَبسَطِ قَوَاعِدِ العَقلِ بِاجتِمَاعِ الكَمَالِ وَالنُّقصَانِ فِي آنٍ وَاحِدٍ مِثلَ صِفَةِ الكَلَامِ ثُمَّ يَتَّصِفُ بِالخَرَسِ أَو يَتَّصِفَ بِأَنَّهُ قَدِيرٌ ثُمَّ يَعجَزُ

الثَّالِثَةُ : مَن قَالَ إِنَّ القُرآنَ لَيسَ مُتَعَلِّقًا بِالمَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ

وَهُم ضَربَانِ : الأَشعَرِيَّةُ وَالكُلَابِيَّةُ وَمَن قَالَ بِمَخلُوقِيَّةِ اللَّفظِ وَالاِقتَرَانِيَّةُ أَصحَابُ ابنِ الزَّاغُونِيِّ وَمَن قَالَ إِنَّ الحُرُوفَ لَا تَتَرَتَّبُ مِنَ السَّالِمِيَّةِ

وَيَأتِي شَرحُ المَذهَبِ الأَوَّلِ إِن شَاءَ اللهُ :

مَذهَبُ الأَشَاعِرَةِ وَالكُلَّابِيَّةِ : وَهُوَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَطرَانِ : شَطرٌ مَخلُوقٌ وَهُوَ اللَّفظُ ، وَشَطرٌ غَيرُ مَخلُوقٍ بَل هُوَ صِفَةُ اللهِ تَعَالَى وَهُوَ المَعنَى لَا يَقبَلُ التَّبعِيضَ وَلَا الاِنقِسَامَ

فَهُوَ زَبُورُ دَاوُدَ وَتَورَاةُ مُوسَى وَإِنجِيلُ عِيسَى وَالقُرآنُ وَلَا هُوَ عَرَبِيٌّ وَلَا عِبرَانِيٌّ وَلَا سُورِيَانِيٌّ

أَمَّا النَّهيُ وَالأَمرُ وَالخَبَرُ وَالاستِفهَامُ فَكُلُّهَا صِفَاتٌ لِذَلِكَ المَعنَى الوَاحِدِ عِندَ الأَشعَرِيِّ ، أَمَّا ابنُ كُلَّابٍ فَقَالَ إِنَّهَا أَنوَاعٌ لَهُ

وَقَالُوا كُونُهُ قُرآنًا وَتَورَاةً وَإِنجِيلًا لَيسَ تَقسِيمًا لِذَاتِهِ بَل لِلعِبَارَاتِ فَإِذَا عُبِّرَ عَنهُ بِالعَرَبِيَّةِ كَانَ قُرآنًا ، وَإِن عُبِّرَ عَنهُ بِالعِبرَانِيَّةِ فَتَورَاةً وَإِن عُبِّرَ عَنهُ بِالسُّورِيَانِيَّةِ فَإِنجِيلٌ

وَاستَدَلُّوا بِبَيتِ الأَخطَلِ التَّغلُبِيِّ :

إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللِّسَــانُ عَلَــيهِ دَلِيــلًا

وَكَانَ قَد جَزَمَ كَثِيرٌ مِن أَصحَابِ اللُّغَةِ أَنَّ أَصلَهُ : (إِنَّ البَيَانَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا) وَلَكِنَّهُم حَرَّفُوهُ -أَعنِي أَصحَابَ التَّعطِيلِ هَؤُلَاءِ-

وَسُبحَانَ اللهِ قَد تَشَابَهَ النَّصَارَى مَعَ الأَشعَرِيِّ وَابنِ كُلَّابٍ

•فَإِن قُلتَ : كَيفَ ذَلِكَ ؟

•قُلنَا : مِن حَيثُ أَنَّ النَّصَارَى جَعَلُوا عِيسَى -عَلَيهِ السَّلَامُ- شَطرَينِ :

-مَخلُوقٌ وَهُوَ النَّاسُوتُ هَذَا البَدَنُ الَّذِي وُلِدَ مِن مَريَمَ
-غَيرُ مَخلُوقٍ وَهُوَ اللَّاهُوتُ ثَانِي الأَقَانِيمِ عِندَهُم فَاللَّاهُوتُ حَلَّ فِي النَّاسُوتِ ذَاكَ

وَكَانَ الأَشعَرِيَّةُ وَالكُلَّابِيَّةُ يَقُولُونَ فِي القُرآنِ أَنَّهُ شَطرَانِ :

-الحَرفُ وَاللَّفظُ المَخلُوقُ
-المَعنَى القَدِيمُ القَائِمُ بِالذَّاتِ

فَكَانَ المَعنَى القَدِيمُ لَاهُوتًا حَلَّ فِي الحُرُوفِ وَالأَلفَاظِ النَّاسُوتِيَّةِ لِأَنَّ هَذَا المَعنَى اللَّاهُوتِيُّ لَا يُفهَمُ إِلَّا بِوَاسِطَةِ تِلكَ الحُرُوفِ وَالأَلفَاظِ

وَقَد حُكِيَ لَنَا أَنَّ أَحمَدَ بنَ الحُسَينِ المُعتَزِلِيِّ ، قَالَ لِابنِ كُلَّابٍ يَومًا : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ لَكَ بِالفَارِسِيَّةِ : تُو مَردِي ؟ ، وَقَالَ الآخَرُ : أَنتَ رَجُلٌ ، هَلِ اختَلَفَا فِي وَصفِكَ إِلَّا مِن جِهَةِ العِبَارَةِ ؟ فَقَالَ ابنُ كُلَّابٍ : لَا ، فَقَالَ : فَكَذَا سَبِيلُكَ مَعَ النَّصَارَى ؛ لِأَنَّهُم يَقُولُونَ : إِنَّهُ -يَعنِي الإِلَهَ- جَوهَرٌ وَاحِدٌ ثَلَاثَةُ أَقَانِيمَ

وَاختَلَفَ الأَشَاعِرَةُ مَعَ أَصحَابِ ابنِ كُلَّابٍ مِن وَجهٍ : فَقَالُوا إِنَّ الأَمرَ وَالاِستِفهَامَ وَالنَّهيَ وَالخَبَرَ أَوصَافٌ لِذَاتِ المَعنَى القَدِيمِ

أَمَّا أَصحَابُ ابنِ كُلَّابٍ إِنَّمَا هِيَ أَنوَاعٌ لِلعِبَارَاتِ وَلَيسَت أَنوَاعًا لِلذَّاتِ

وَمَعَ هَذَا فَكُلُّهُم يَتَّفِقُونَ أَنَّ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِهِ هُوَ قُرآنٌ مَخلُوقٌ فَوَافَقُوا حِزبَ الشَّيطَانِ الأَوَّلِ وَمَا فَرَقُوا عَنهُم إِلَّا بِزِيَادَةٍ فِي الهَذَيَانِ

لِذَلِكَ قَالَ إِمَامُ الحَرَمَينِ أَنَّ حَقِيقَةَ الخِلَافِ مَعَ المُعتَزِلَةِ لَفظِيٌّ

وَاعلَم أَنَّ القَومَانِ اختَلَفَا فِي مَن أَنشَأَ هَذِهِ الأَلفَاظِ إِن لَم تَكُن مِنَ اللهِ تَعَالَى ؟ فَأَجَابُوا عَلَى وَجهَينِ

-فَطَائِفَةٌ قَالَت : مُحَمَّدٌ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

-وَطَائِفَةٌ قَالَت : إِنَّمَا هُوَ جِبرِيلُ -عَلَيهِ السَّلَامُ- وَهُوَ قَولُ البَاقِلَّانِيِّ وَإِمَامِ الحَرَمَينِ

وَأَتَت طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ وَنَفَت الجَوَابَينِ وَقَالَت :
إِنَّ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الأَلفَاظَ وَأَنشَاهَا فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ ثُمَّ إِنَّ جِبرِيلَ -عَلَيهِ السَّلَامَ- أَخَذَهُ مِنَ اللَّوحِ وَنَزَلَ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-

مَذهَبُ الاقتِرَانِيَّةِ : وَهُم أَتبَاعُ أَبِي عَبدِاللهِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمَدَ بنِ سَالِمٍ مِن أَصحَابِ سَهلٍ التُّستَرِيِّ وَابنِهِ أَبِي الحَسَنِ أَحمَدَ بنِ مُحَمَّدِ

مَقَالَتُهُم :
زَعَمَ السَّالِمِيَّةُ أَنَّ الكَلَامَ لَا يَتَعَلَّقُ بِالمَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ فَاللهُ عِندَهُم لَم يَتَكَلَّم قَطُّ مَتَى شَاءَ ، وَحُرُوفُ القُرآنِ مَقرُونَةٌ بِبَعضِهَا مُنذُ الأَزَلِ ، وَالقُرآنُ أَلفَاظٌ وَمَعَانٍ لَا يَنفَصِلُ أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ ، وَكُلٌّ مِنَ اللَّفظِ وَالمَعنَى قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى غَيرُ قَابِلٍ لِلحُدُوثِ ، وَقَالُوا : إِنَّ أَلفَاظَهُ وُجِدَت مُقتَرِنَةً مُجتَمِعَةً فَالسِّينُ فِي قَولِكَ (بِسمِ اللهِ) عِندَ البَاءِ لَا تَتَقَدَّمُهُ وَلَا تَتَأَخَّرُهُ ، وَإِنَّمَا يَقَعُ التَّرتِيبُ فِي السَّمعِ لَا فِي حَقِيقَةِ اللَّفظِ

وَقَالَ ابنُ الزَّاغُونِيِّ مِنهُم : إِنَّ الحُرُوفَ مُقتَرِنَةٌ بِذَوَاتِهَا لَكِنَّهَا مُتَرَتِّبَةٌ بِوُجُودِهَا ؛ لِأَنَّ اللهُ تَعَالَى لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِئَتِهِ

•قُلنَا : وَهَذَا ظَاهِرُ البُطلَانِ مِن حَيثُ أَنَّ ذَاتَ الشَّيءِ وَحَقِيقَتُهُ شَيءٌ وَاحِدٌ ، وَلَا فَرقَ بَينَ هَذِهِ الحَقَائِقِ سَوَاءٌ قُدِّرَت فِي الأَعيَانِ أَو فِي

الأَذهَانِ ، فَإِذَا اقتَضَتِ الذَّاتُ تَرتِيبًا وَتَعَاقُبًا فِي أَحَدِ الوَجهَينِ فَهِيَ كَذَلِكَ فِي الوُجُودِ الآخَرِ

وَأَيضًا فَإِنَّ وُجُودَ الشَّيءِ فِي خَارِجِ الذِّهنِ غَيرُ وُجُودِهِ فِيهِ ، فَتَكُونُ الحَقِيقَةُ مُغَايِرَةً لِنَفسِهَا بِالاِعتِبَارِ ، وَكَذَلِكَ يُمكِنُ العَكسُ ، فَيُقَالُ : الوُجُودُ الذِّهنِيُّ مُغَايِرٌ لِلوُجُودِ الخَارِجِيِّ

وَاعلَم أَنَّ هَذَا لَا يَعنِي أَنَّ الذَّاتَ يُمكِنُ أَن تَنفَصِلَ عَنِ الوُجُودِ ، أَمَّا إِذَا أُخِذَتِ الحَقِيقَةُ مُجَرَّدَةً عَنِ اعتِبَارَاتِ الخَارِجِ وَالذِّهنِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى اختِلَافِ الوُجُودِ فَهِيَ شَيءٌ وَاحِدٌ

وَيَأتِي شَرحَ مَذهَبَ مَن قَالَ إِنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَشِئَةِ وَالإِرَادَةِ وَهُمَا طَائِفَتَانِ :

-الجَهمِيَّةُ وَالمُعتَزِلَةُ وَمَن قَالَ بِأَنَّ كَلَامَ اللهِ خَلقٌ لَهُ يُنسَبُ لَهُ لِلتَّشرِيفِ

-وَالكَرَّامِيَّةُ مَن قَالَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ قَدِيمٌ بِأَحَادِهِ وَنَوعِهِ

الجَهمِيَّةُ وَالمُعتَزِلَةُ

وَمَقَالَتَهُم -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ القُرآنَ مَخلُوقٌ خَلقَهُ اللهُ كَمَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ وَسَائِرَ المَخلُوقَاتِ ، وَمَعنَى كَونِ اللهِ مُتَكَلِّمًا أَنَّهُ خَلَقَ الكَلَامَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالمَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ خَارِجَ ذَاتِهِ لَم يَقُم بِهَا وَإِضَافَةُ اللهِ تَعَالَى الكَلَامَ لَهُ إِنَّمَا عَلَى سَبِيلِ التَّشرِيفِ كَمَن قَالَ : بَيتُ اللهِ أَو حَرَمُ اللهِ

فَاللهُ مَا قَالَ يَومًا وَلَا هُوَ قَائِلٌ وَالقَولُ لَم يُسمَع قَطُّ مِنهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالقَولُ مَفعُولٌ لَهُ قَائِمٌ بِالغَيرِ كَالعَرَضِ وَاللَّونِ

وَقَالُوا إِنَّ الكَلَامَ عَرَضٌ وَمُحَالٌ أَن يَكُونَ اللهُ فَعَلَهُ فِي الحَقِيقَةِ وَالكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ فِعلٌ لِمَن يُسمَعُ مِنهُ وَحَيثَمَا سُمِعَ فَهُوَ فِعلٌ لِلمَحَلِّ لَا لِلَّهِ

الكَرَّامِيَّةُ

وَهُم أَصحَابُ مُحَمَّدِ بنِ كَرَّامٍ السِّجِستَانِيِّ مِن مُرجِئَةِ الطَّوَائِفِ القَائِلِينَ بِالتَّحسِينِ وَالتَّقبِيحِ وَفِيهِم نَزعَةُ تَجسِيمٍ

مَقَالَتُهُم :

اعلَم -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الكَرَّامِيَّةَ هُم أَقرَبُ النَّاسِ لَنَا فِي مَذهَبِنَا إِذ قَالُوا : إِنَّ كَلَامَ البَارِي عَزَّ وَجَلَّ مُتَعَلِّقٌ بِالمَشِيئَةِ وَالقُدرَةِ قَائِمٌ بِذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ بِحَرفٍ وَصَوتٍ حَادِثٍ مُتَرَتِّبَةٍ

وَهَذَا فِي أَفرَادِهِ

وَلَكِنَّهُم سَاوَوا بَينَ النَّوعِ وَالآحَادِ فَجَعَلُوا لِجِنسِ كَلَامِ اللهِ بِدَايَةً ، فَلَا يَصِحُّ أَن يُقَالَ أَنَّ جِنسِ كَلَامِ اللهِ قَدِيمٌ لَم يَزَل فِرَارًا مِن حَوَادِثَ لَا أَولَ لَهَا

-وَاعلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ سَبَبَ إِنكَارِهِم لِحَوَادِثَ لَا أَولَ لَهَا مُتَعَلِّقٌ بِإِثبَاتِ الصَّانِعِ

•فَإِن قُلتَ : مِن أَيِّ وَجهٍ ؟

•قُلنَا : مِن حَيثُ أَنَّ المُتَكَلِّمِينَ مِن أَصحَابِ ابنِ كَرَّامٍ استَدَلُّوا بِأَنَّ النُّطفَةَ وَالمُضغَةَ وَالعَلَقَةَ لَا تَنفَكُّ مِن أَعرَاضٍ حَادِثَةٍ ، إِذ كَانَ عِندَهُم جَوَاهِرٌ تُجمَعُ تَارَةً وَتَفتَرِقُ تَارَةً أُخرَى ، فَلَا تَخلُوا عَنِ اجتِمَاعٍ وَافتِرَاقٍ وَهُمَا حَادِثَانِ ، فَلَم يَخلُ الإِنسَانُ عَنِ الحَوَادِثِ وَمَا لَم يَخلُ مِنَ الحَوَادِثِ فَهُوَ كَّذَلِكَ

فِي مَقَالِ أَهلِ الحَدِيثِ :

وَهُم العُلَمَاءُ وَالنُّجُومُ حَقًّا وَشَاتِمُهُم إِمَّا أَحمَقٌ أَو صَاحِبُ ابتِدَاعٍ

وَلَقَد أَحسَنَ القَائِلِ :

يَا مُبغِضًا أَهلَ الحَدِيثِ وَشَاتِمًا
أَبشِـر بَعَقـدِ وَلَايَةِ الشَّيـطَانِ

أَوَ مَا عَلِمتَ بِأَنَّهُم أَنصَارُ دِيـ
نِ اللّٰـهِ وَالإِيمَـانِ وَالقُـرآنِ

مَقَالَتَهُم :

قَالَ العُلَمَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم :

إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى حَقًّا لَم يَزَل مُتَكَلِّمًا بِمَشِئَةٍ وَإِرَادَةٍ فَهُوَ قَدِيمُ النَّوعِ حَادِثُ الآحَادِ وَتَعَاقُبُ الكَلِمَاتِ أَمرٌ ثَابِتٌ كَتَعَاقُبِ الزَّمَنِ فَاللهُ سُبحَانَهُ قَالَ حَقِيقَةً (حم) وَقَالَ (طه) وَقَالَ (يس) فَالحُرُوفُ مُتَرَتِّبَةٌ مِثلَمَا تَرَتَّبَت فِي مَسَامِعِ الإِنسَانِ لَا يَفنَى وَلَا يَنتَهِي وَلَا يَنفَدُ

وَاعلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ رُسُلَ الإِلَهِ أَجمَعُوا عَلَى مَا ذَهَبنَا إِلَيهِ وَمَن خَالفَهُم فَهُوَ زِندِيقٌ مُبتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصِّرَاطِ المُستَقِيمِ

وَيَأتِي الاستِدلَالُ لِمَذهَبِنَا وَالرَّدُّ عَلَى المُخَالِفِينَ إِن شَاءَ اللهُ

ذِكرُ الآثَارِ فِي مَذهَبِنَا وَكَلَامِ العُلَمَاءِ

قَالَ عَبدُاللهِ بنُ الإِمَامِ المُبَجَّلِ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- : سَمِعْتُ أَبِي وَسَأَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْمَعْرُوفُ بِمُشْكُدَانَه عَنِ الْقُرْآنِ،؟ فَقَالَ: «كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ».

سَمِعْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، مَرَّةً أُخْرَى سُئِلَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا تُخَاصِمُوا وَلَا تُجَالِسُوا مَنْ يُخَاصِمُ»

حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرِ بْنُ إِشْكَابَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي وَهُو الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِشْكَابَ، مَا لَا أُحْصِي يَقُولُ: " الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ "

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْعَطَّارِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ، يَقُولُ : " الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأُرَاهُ قَالَ: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ " قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: وَسَمِعْتُ هَارُونَ الْفَرْوِيَّ، يَقُولُ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْعَطَّارِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَهَّاب بْنَ الْحَكَمِ الْوَرَّاقَ، يَقُولُ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»

حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْعَطَّارِ، سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ وَكِيعٍ، يَقُولُ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، ثنا أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَنَّهُ قَالَ: «فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْكَلَامِ كَفَضْلِ الْخَالِقِ عَلَى خَلْقِهِ»

حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثنا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، ثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَعْبَدُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِجَعْفَرٍ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنِ الْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ هُوَ؟ قَالَ: " لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ أَبِي: قَدْ رَأَيْتُ مَعْبَدًا هَذَا وَلَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ وَأَثْنَى عَلَيْهِ أَبِي وَكَانَ يُفْتِي بِرَأْيِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى

حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ، حَدَّثَنَا رَجُلٌ سَمَّاهُ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: خَالِقٌ أَوْ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: " لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ

إِسْمَاعِيلُ: وَهُوَ قَوْلُنَا وَقَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ "

سَمِعْتُ أَبِيَ يَقُولُ بَلَغَنِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُمَحِيِّ، وَوَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ، وَأَبِي النَّضْرِ هَاشِمِ بْنِ الْقَاسِمِ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ، قَالُوا: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ جَالِسًا أَنَا وَعُثْمَانُ، أَخِي، فَسَأَلَهُ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ عَنِ الْقُرْآنِ، أَمَخْلُوقٌ فَأَنْكَرَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَا سَأَلَهُ وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: «إِنِّي أَحْسِبُكَ شَيْطَانًا، وَأَنْكَرَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَا جَاءَ بِهِ مَنْصُورٌ»

قَالَ هِبَةُ الطَّبَرِيُّ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عِيسَى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ فَارِسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو مَرْوَانَ الطَّبَرِيُّ , سَمِعَ ابْنَ عُيَيْنَةَ قَالَ: أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ يَحْيَى قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ سَالِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَرَّاقُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ مُنْذُ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ عَامًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ , فَامْرَأَتُهُ طَالِقٌ ثَلَاثًا الْبَتَّةَ. قُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ امْرَأَتَهُ مُسْلِمَةٌ , وَمُسْلِمَةٌ لَا تَكُونُ تَحْتَ كَافِرٍ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ يَقُولُ: لَمَّا جَاءَتِ الْمِحْنَةُ إِلَى الْكُوفَةِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ: الْقَ أَبَا نُعَيْمٍ فَقُلْ لَهُ. فَلَقِيتُ أَبَا نُعَيْمٍ فَقَالَ لِي: إِنَّمَا هُوَ ضَرْبُ الْأَسْيَاطِ. قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: فَقُلْتُ: ذَهَبَ حَدِيثُنَا عَنْ هَذَا الشَّيْخِ. فَقِيلَ لِأَبِي نُعَيْمٍ , فَقَالَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثَمِائَةِ شَيْخٍ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ , وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ كَانُوا يَقُولُونَ: لَا بَأْسَ بِرَمْيِ الْجِمَارِ بِالزُّجَاجِ. ثُمَّ أَخَذَ زِرَّهُ فَقَطَعَهُ ثُمَّ قَالَ: رَأْسِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ زِرِّي

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي أُوَيْسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ خَالِي مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ , وَجَمَاعَةَ الْعُلَمَاءِ بِالْمَدِينَةِ , فَذَكَرُوا الْقُرْآنَ فَقَالُوا: كَلَامُ اللَّهِ وَهُوَ مِنْهُ , وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَنْجُوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ عَنِ الْفِرْيَابِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَعْنِي سُفْيَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ زِنْدِيقٌ

وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا النَّضْرِ هَاشِمَ بْنَ الْقَاسِمِ يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ وَكُنْتُ حَاضِرًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ حَفْصٌ الْفَرْدُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ , فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّبَرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ بُنْدَارٍ , وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ بِشْرٍ قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا نُعَيْمٍ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو اللَّيْثِ يَعْنِي يَزِيدَ بْنَ جَهْوَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا خَيْثَمَةَ , يَعْنِي مُصْعَبَ بْنَ سَعِيدٍ الْمِصِّيصِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ وَمُوسَى بْنَ أَعْيَنَ , يَقُولَانِ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ أَكْفَرُ مِنْ هُرْمُزَ وَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ , وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ , قُلْتُ لِوَكِيعٍ: يَا أَبَا سُفْيَانَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ رَأَيْتُهُ عِنْدَكَ يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ. فَقَالَ وَكِيعٌ: مَنْ قَالَ

أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُحْدَثٌ , وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُحْدَثٌ فَقَدْ كَفَرَ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ , عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَكْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْعَظِيمِ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ يَقُولُ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ زِنْدِيقٌ أَوْ قَالَ: زِنْدِيقٌ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ , حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ , حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ قَالَ: حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ عَنِ الْقُرْآنِ , فَقَالَ: {الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ} [الحشر: ٢٣] يَكُونُ هَذَا مَخْلُوقًا؟

قَالَ أَبُو جَعفَرِ ابنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ : فَالصَّوَابُ مِنَ القَولِ مَن قَالَ فِي ذَلِكَ عِندَنَا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ غَيرُ مَخلُوقٍ ، كَيفَ كُتِبَ ، وَكَيفَ تُلِيَ ، وَفِي أَيِّ مَوضِعٍ قُرِئَ ، فِي السَّمَاءِ وُجِدَ أَم فِي الأَرضِ حُفِظَ ، فِي اللَّوحِ

المَحفُوظِ كَانَ مَكتُوبًا أَو فِي أَلوَاحِ صِبيَانِ الكَتَاتِيبِ مَرسُومًا ، فِي الحَجَرِ نُقِشَ أَو فِي وَرَقٍ خُطَّ أَو بِاللِّسَانِ لُفِظَ ، فَمَن قَالَ غَيرَ ذَلِكَ أَوِ ادَّعَى أَنَّ قُرآنًا فِي الأَرضِ أَو فِي السَّمَاءِ سِوَى القُرآنِ الَّذِي نَتلُوهُ بِأَلسِنَتِنَا ، أَو نَكتُبُهُ فِي مَصَاحِفِنَا ، أَوِ اعتَقَدَ ذَلِكَ بِقَلبِهِ أَو أَضمَرَهُ فِي نَفسِهِ وَقَالَهُ بِلِسَانِهِ ، فَهُوَ بِاللهِ كَافِرٌ (نَقَلَهُ شَيخُنَا الإِمَامُ فِي إِبطَالِ التَّأوِيلِ)

وَاعلَم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ مَا تَرَكنَاهُ أَكثَرُ بِكَثِيرٍ مِمَّا انتقَينَاهُ وَقَد عَدَّ هِبَةٌ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ لَهُ أَكثَرَ مِن خَمسِمِائَةِ نَفسٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَأَتبَاعِهِم وَتَزِيدُ خَمسِينَ نَفسًا كُلُّهُم قَالُوا القُرآنُ كَلَامُ اللهِ غَيرُ مَخلُوقٍ فانتَبِه .

فَمِنَ القُرآنِ :

•قَولُهُ تَعَالَى : {يَـٰمَعشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ أَلَم يَأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم يَقُصُّونَ عَلَيكُم ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُم لِقَاءَ يَومِكُم هَـٰذَا قَالُوا شَهِدنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتهُمُ الحَيَوٰةُ الدُّنيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِم أَنَّهُم كَانُوا كَـٰفِرِينَ}

•وَقَولُهُ تَعَالَى : {إِنَّ أَصحَـٰبَ الجَنَّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ (٥٥) هُم وَأَزوَٰجُهُم فِي ظِلَـٰلٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُم فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَـٰمٌ قَولًا مِن رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨)

•قَالَ أَبُو جَعفَرٍ الطَّبَرِيُّ : حَدَّثَنَا بِهِ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: ثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ، عَنْ حَرْمَلَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ، يُحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: "إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، أَقْبَلَ يَمْشِي فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ،

فَيَقِفُ عَلَى أَوَّلِ أَهْلِ دَرَجَةً، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، فَيَرُدُّونَ عليه السلام، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ: (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) [يس: ٥٨] فَيَقُولُ: سَلُوا، فَيَقُولُونَ: مَا نَسْأَلُكَ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَوْ أَنَّكَ قَسَمْتَ بَيْنَنَا أَرْزَاقَ الثَّقَلَيْنِ لَأَطْعَمْنَاهُمْ وَسَقَيْنَاهُمْ وَكَسَوْنَاهُمْ، فَيَقُولُ: سَلُوا، فَيَقُولُونَ: نَسْأَلُكَ رِضَاكَ، فَيَقُولُ: رِضَائِي أَحَلَّكُمْ دَارَ كَرَامَتِي، فَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَهْلِ كُلِّ دَرَجَةٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ

•وَقَولُهُ تَعَالَى : {يَومَ يَجمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبتُم قَالُوا لَا عِلمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ}

•وَقَولُهُ تَعَالَى : {فَلَنَسئَلَنَّ الَّذِينَ أُرِسَل إِلَيهِم وَلَنَسئَلَنَّ المُرسَلِينَ}

•قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِإِسْحَاقَ بْنِ خَلَفٍ قَوْلَهُ: يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا قُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ عَلِمُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا قَالَ: بَلَى. وَلَكِنْ مِنْ عِظَمِ قَوْلِ السُّؤَالِ طَاشَتِ عُقُولُهُمْ فَلَمْ يَرُدُّوا مَا أُجِيبُوا، فَإِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ بَعْدُ عَرَفُوا فَحَدَّثَ بِهِ أَبُو سُلَيْمَانَ فَقَالَ: هُمْ فِي سَمَاعِهِمْ تِلْكَ صَادِقِينَ، ثُمَّ ترجع إليهم عقولهم بعد فيخبر بِمَا أُجِيبُو

•وَفِي الكِتَابِ العَزِيزِ عَشرُ آيَاتٍ فِي النِّدَاءِ :

فَمِنهَا : {وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَا أَلَم أَنهَكُمَا عَن تِلكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}

وَمِنهَا : {وَنَادَينَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورُ الأَيمَنِ وَقَرَّبنَاهُ نَجِيًّا}

وَقّولُهُ تَعَالَى : {وَيَومَ يُنَادِيهِم فَيَقُولُ مَاذَا أَجبَتُمُ المُرسَلِينَ}

وَقَولُهُ : {وَيَومَ يُنَادِيهُم أَينَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ}

وَقَولهُ : {وَإِذ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائتِ القَومَ الظَّالِمِينَ}

وَقّولُهُ : {وَيَومَ يُنَادِيهِم فَيّقُولُ أَينَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ}

وَقَولُهُ : {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذ نَادَينَا وَلَكِن رَحمَةً مِن رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَومًا مَا أَتَاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبلِكَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ}

وَقَولُهُ تَعَالَى : {وَنَـٰدَينَـٰهُ أَن يَـٰإِبرَاهِيمُ (١٠٤) قَد صَدَّقتَ الرُّؤيَا إِنَّا نَجزِي المُحسِنِينَ}

وَقَولُهُ تَعَالَى : {هَل أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذ نَادَىٰهُ رَبُّهُ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى}

ذِكرُ مَا يُستَدَلُّ بِهِ مِنَ السُّنَّةِ :

فَمِنَ السُّنَّةِ :

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ : دَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، وَحَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَجَاءٍ

الْغُدَانِيُّ، وَحَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَهُ، قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ، فَخَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعْهُ، فَابْتَعْتُ بَعِيرًا، فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، ثُمَّ سِرْتُ عَلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ الْأَنْصَارِيَّ، فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَخَرَجَ إِلَيَّ فَعَانَقَنِي وَعَانَقْتُهُ، قَالَ: قُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَظَالِمِ، خَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ قِبَلَ الشَّامِ، عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا بُهْمًا»، قَالَ: قُلْتُ: مَا بُهْمًا؟، قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، أَنَا الْمَلِكُ الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، حَتَّى اللَّطْمَةِ»، قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟، قَالَ: «الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ»

قَالَ البُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَن قَتَادَةَ ، عَن صَفوَانَ بنِ مُحرِزٍ : «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ.»

قَالَ ابنُ خُزَيمَةَ : حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ إِيَاسٍ الْمِصْرِيُّ، قَالَ: ثنا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: ثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي زَكَرِيَّا، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ رِعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ قَالَ: فَيَقُولُونَ: كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَكَرِيَّا أَحَدُ عُبَّادِهِمْ

فِي إِلزَامِ مَن قَالَ بِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ حَقِيقَةً :

فَالأَوَّلُ : الإِلزَامُ بِنَفيِ الرِّسَالَاتِ

•فَإِن قُلتَ : وَكَيفَ ؟

•قُلنَا : مِن حَيثُ أَنَّهُ سُبحَانَهُ مُوصٍ آمِرٌ نَاهٍ مُنَبِّئٌ وَمُخبِرٌ

•فَإِن قُلتَ : بَيِّن أَينَ ؟

•قُلنَا : فِي كِتَابِهِ جَلَّ ذِكرُهُ ،

-فَمُوصٍ ، قَولُهُ تَعَالَى : {ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِ}
-آمِرٌ ، قَولُهُ : {إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أهلِهَا}
-نَاهٍ وَوَاعِظٌ ، قَولُهُ : {وَينهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ}
-مُنَبِّئٌ ، قَولُهُ : {قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ}

وَالإِخبَارُ بِمَعنَى الإِنبَاءِ. ، يَدُلُّ عَلَيهِ أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ فِي الكِتَابِ {نَبَّأَنِيَ} وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ عِندَ مُسلِمٍ لِعَائِشَةَ أُمِّ المُؤمِنِينَ : (لَتُخبِرَنِّي أَو لَيُخبِرَنِّيَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)

فَإِذَا انتَفَى كُلُّ ذَلِكَ انتَفَت صِفَةُ الكَلَامِ لِأَنَّ فَاقِدَ الكَلَامِ لَا يُوصِي وَلَا يُنَبِّئُ وَلَا يَنهَى وَلَا يَأمُرُ وَلَا يَقُومُ بِشَيءٍ مِنَ الصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ لِصِفَةِ الكَلَامِ ؛ فَإِذَا انتَفَى المَلزُومُ انتَفَى اللَّازِمُ

وَكَذَلِكَ إِذَا انتَفَى الكَلَامُ فَستَنتَفِي الرِّسَالَةُ ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الرِّسَالَةِ هِيَ : تَبلِيغُ كَلَامِ المُرسِلِ الدَّاعِي بِلَا نُقصَانٍ

•فَإِن قَالُوا : وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ؟

•قُلنَا حِينَ إِذِن : الدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى : {يَـٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ} فَإِذَا انتَفَى الكَلَامُ الَّذِي أُمِرَ بِتَبلِيغِهِ انتَفَى كَونُهُ رَسُولًا ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ إِنَّمَا يُبَلِّغُ كَلَامَ مُرسِلِهِ

الثَّانِي : إِلزَامَهُم بِأَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى -حَاشَاهُ- كَالأَصنَامِ الَّتِي ذَمَّهَا فِي القُرآنِ

وَاعتَرَضَ المُتَكَلِّمُونَ ذَلِكَ فَقَالُوا : إِنَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى إِن نَفَينَا عَنهُ الكَلَامُ لَم يَستَلزِم نَقصًا

•قُلنَا : وَكَيفَ ذَلِكَ ؟

•قَالُوا : لِأَنَّا نَقُولُ أَنَّ البَارِي لَيسَ قَابِلًا لِصِفَةِ الكَلَامِ أَصلًا وَإِنَّمَا يَكُونُ نَفيُهَا نَقصًا مِمَّن هُوَ يَقبَلُهَا كَالمَخلُوقِ

•قُلنَا :إِنَّ سَلبَ صِفَةِ الكَلَامِ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَسَلبِ قَبُولِهِ هَذِهِ الصِّفَةَ أَتَمُّ لِلنُّقصِ ، فَإِنَّ الأَخرَسَ مِن بَنِي آدَمَ الَّذِي امتَنَعَت عَنهُ صِفَةُ الكَلَامِ أَكمَلُ حَالَةً مِنَ الجَمَادِ الَّذِي لَا يَقبَلُ الاتِّصَافَ بِهَا أَصلًا ، ثُمَّ نَقُولُ : إِنَّكُم أَيُّهَا المَلَاحِدَةُ لَمَّا جَحَدتُّم أَوصَافَ الكَمَالِ عَنِ اللهِ تَعَالَى مَخَافَةَ الوُقُوعِ فِي التَّجسِيمِ وَالتَّشبِيهِ بِالمَخلُوقِ فَوَقَعتُم فِي تَشبِيهِهِ بِالأَصنَامِ الَّتِي ذَمَّهَا ، كَمَا قَالَ : {أَلَم يَرَوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُم وَلَا يَهدِيهِم سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ}

الثَّالِثُ : فِي الإِلزَامِ بِأَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فِي الوُجُودِ هُوَ عَينُ كَلَامِهِ

وَهُوَ لِمَن قَالَ مِنَ الجَهمِيَّةِ وَمُتَأَخِّرِي المُعتَزِلَةِ : إِنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى فِي غَيرِهِ

قِيلَ لَهُم : قَد عُلِمَ بِالاضطِّرَارِ مِنَ الدِّينِ أَنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ ، فَإِن خَلَقَهُ اللهُ فِي مَحَلٍّ هُوَ كَلَامُ اللهِ لِتَمَاثُلِهَا بِالنِّسبَةِ إِلَى اللهِ ، وَيَلزَمُ أَن يَكُونَ مَا يَخلُقُهُ اللهُ تَعَالَى مِن كَلَامِ الجُلُودِ وَالأَيدِي وَالأَرجُلِ كَلَامُ اللهِ ؛ لِأَنَّ

النَّاطِقَ هُوَ المُنطِقُ ، وَهُوَ إِلزَامٌ التَزَمَهُ عَارِفُ المَلَاحِدَةِ وَمَن بَعدَهُ مِنَ الاتِّحَادِيَّةِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ مَذهَبُهُم

وَلَو قَالَ المُعَارِضُ المُلحِدُ : إِنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ وَهُوَ مَخلُوقٌ لَكِنَّهُ أُضِيفَ إِلَى اللهِ تَعَالَى عَلَى جِهَةِ التَّخصِيصِ

•قِيلَ لَهُم : إِنَّ هَذَا لَا يَدفَعُ عَنكُمُ الإِلزَامَ بِأَنَّ سَائِرَ الكَلَامِ مِن فَاحِشِهِ إِلَى حَسَنِهِ مِن كَلَامِ الخَلقِ مُضَافٌ إِلَى اللهِ عَلَى سَبِيلِ العُمُومِ

فِي ذِكرِ حُجَجٍ أُخرَى وَرُدُودٍ زَائِدَةٍ :

مِنهَا : التَّفرِيقُ بَينَ الأَمرِ وَالخَلقِ

وَهُوَ قَولُ اللهِ تَعَالَى : {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَامٍ ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ يُغشِي الَّيلَ النَّهَارَ يَطلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمرِهِ أَلَا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَـٰلَمِينَ}

وَهِيَ حُجَّةُ سُفيَانَ بنِ عُيَينَةَ عَلَى بِشرٍ المَرِيسِيِّ وَمَن تَبِعَهُ

وَبَيَانُهَا : أَنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَّقَ بَينَ الخَلقِ وَالأَمرِ كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَى- فِي مَا تَقَدَّمَ مِن آيَاتِ الذِّكرِ الحَكِيمِ ، بَل إِنَّ الخَلقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِأَمرٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : {إِنَّمَا أَمرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونَ}

وَهَذَا قَدِ استَدَلَّ بِهِ لُوَينٌ وَأَعجَبَت حُجَّتُهُ الإِمَامَ المُبَجَّلَ -رَضِيَ اللهُ عَنهُ- مِن حَيثُ أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أَوَّلُ مَا خَلَقَ القَلَم فَلَمَّا كَانَ الخَلقُ بِكُن وَهَذَا هُوَ أَوَّلُ مَخلُوقٍ تَعَيَّنَ أَنَّ (كُن) هَذَا الكَلَامَ غَيرُ مَخلُوقٍ

•وَرُدَّ عَلَيهِ : بِأَنَّ هَذَا مِن جِنسِ عَطفِ الفَردِ مِنَ النَّوعِ علَى النَّوعِ ، وَهُوَ سَائِغٌ فِي اللُّغَةِ وَكَلَامِ العَرَبِ ، بَل فِي القُرآنِ كَمَا قَالَ -تَعَالَى- : {تَنَزَّلُ المَلَـٰئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} فَالرُّوحُ فَردٌ مِن أَفرَادِ المَلَائِكَةِ وَمَع ذَلِكَ عَطَفَهُ عَلَيهَا

•وَجَوَابُهُ : أَنَّ هَذَا ظَاهِرُ البُطلَانِ مِنَ الآيَةِ نَفسِهَا ، فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ الخَلقَ كَانَ لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ ، ثُمَّ عَطَفَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ ثُمَّ أَخبَرَ أَنَّهُ سَخَّرَ الجَمِيعَ بِأَمرِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الخَلقَ سَبَقَ الأَمرَ بِالوُجُودِ لِدَلَالَةِ (ثُمَّ) عَلَى التَّرَاخِي وَالتَّرتِيبِ

•وَرُدَّ عَلَيهِ بِوَجهٍ آخَرَ : وَهُوَ أَنَّ الأَمرَ فِي الآيَةِ مَصدَرٌ بِمَعنَى المَأمُورِ كَمَا يُقَالُ الخَلقُ بِمَعنَى المَخلُوقِ ، وَالمَأمُورُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَخلُوقًا ، فَيَكُونُ العَطفُ فِي الآيَةِ عَطفَ مَخلُوقٍ عَلَى مَخلُوقٍ

•وَجَوَابُهُ : سَوَاءٌ جُعِلَ مَصدَرًا بِمَعنَى أَحَدِ الأَوَامِرِ أَو كَانَ مَفعُولًا فَهُمَا سَوَاءٌ فِي مُخَالَفَتِهَا لِلخَلقِ وَالمَخلُوقِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ المَأمُورَ لَا بُدَّ لَهُ مِن آمِرٍ كَالمَصنُوعِ لَا بُدَّ لَهُ مِن مُحدِثٍ لِلفِعلِ أَلَا وَهُوَ الفَاعِلُ ، فَإِذَا انتَفَى الأَمرُ انتَفَى المَأمُورُ كَمَا أَنَّ الخَلقَ إِذَا انتَفَى انتَفَى المَخلُوقُ وَهُوَ

مَعلُومٌ مِنَ العَقلِ بِالضَّرُورَةِ ، فَيَكُونُ الأَمرُ فِي كَلَامِ اللهِ هَذَا مُغَايِرًا لِلخَلقِ عَلَى كُلِّ حَالٍ

ذِكرُ مَذهَبِ ابنِ حَزمٍ وَالخَاتِمَةِ :

اعلَم -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلِيَّ بنَ أَحمَدِ بنِ سَعِيدِ بنِ حَزمٍ الظَّاهِرِيِّ الأَندَلُسِيِّ تَفَرَّدَ بِالقَولِ فِي القُرآنِ مَقَالَةً عَجِيبَةً ذَكَرَهَا فِي (الدُّرَّةِ)

وَهِيَ : أَنَّ القُرآنَ يُطلَقُ عَلَى خَمسَةِ مَعَانٍ : الأَوَّلُ المَتلُوُّ بِالأَلسِنَةِ وَالثَّانِي المَرسُومُ فِي المَصَاحِفِ وَالثَّالِثُ المَحفُوظُ فِي الصُّدُورِ وَالرَّابِعُ المَفهُومُ مِنَ التِّلَاوَةِ فَهَذِهِ أَربَعَةٌ مَخلُوقَةٌ ، أَمَّا المَعنَى القَدِيمُ قَائِمٌ بِالذَّاتِ هُوَ عِلمُهُ وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ

-وَاعلَم أَنَّ أَصلَ مَقَالَةِ هَذَا رَاجِعَةٌ إِلَى أَنَّ لِلشَّيءِ مَرَاتِبَ أَربَعٍ مِنَ الوُجُودِ :

-الوُجُودُ العَينِيُّ الخَارِجِيُّ
-وَالوُجُودُ الذِّهنِيُّ
-وَالوُجُودُ اللَّفظِيُّ
-وَالوُجُودُ الرَّسمِيُّ المَكتُوبُ

فَجَعَلَ كُلَّ وُجُودٍ مِن هَذِهِ الوُجُودَاتِ لِلشَّيءِ شَيئًا مُنفَكًّا عَنِ الثَّانِي بِقِلَّةِ عِلمِهِ وَحَقِيقَةُ الأَمرِ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ هُوَ شَيءٌ وَاحِدٌ وَهُوَ كَلَامُ اللهِ غَيرُ مَخلُوقٍ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا أَينَمَا تَوَجَّهَ ، **انتَهَت الرِّسَالَةُ** .